العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الاستمرارية التاريخية للكتابة المسمارية في بلاد الرافدين

م.م مصطفى كاظم سهل فرحان الغزي
ماجستير تاريخ قديم
جامعة واسط/ كلية الهندسة/ قسم هندسة العمارة
malgazi@uowasit.edu.iq
07735579379واتساب:

الملخص:

الحضارة هي النتاج الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء، أي أنها ذات طبيعة مزدوجة (مادية – روحية)، لذا كان هناك تقدم حضاري على الصعيدين المذكورين للحضارة الرافدينية، ومن أمثلة ذلك اختراع الكتابة التي تُعد أعظم منجز حضاري، هدفه تدوين نتاجات وأفكار الإنسان وتحويلها إلى أسس مادية – حضارية ملموسة، وقد جعل منها الباحثون حداً فاصلاً بين عصور ما قبل التاريخ Pre-history Ages أو العصور الحجرية Stone Ages (عصور ما قبل الكتابة Pre-writing Ages) والعصور التي تلتها، والتي سُميت بـ (العصور التاريخية) Historical Ager، وتبرز أهمية الكتابة لدى المجتمعات القديمة في إدراكهم لمكانتها الكبيرة، فليس عبثاً حينما اعتبروها هبة من الآلهة تُعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات الأصيلة (Original Civilization)، بل هي حضارة الحضارات الإنسانية، لذا كانت الكتابة المسمارية كتابة مبتكرة ولم تكن مقتبسة اخترعها السومريون وزاد عليها الأكديون والبابليون والآشوريون والكلديون نضوجاً وكمالاً. أسهم إختراع الكتابة في توثيق أفكار الإنسان وحفظها من الضياع، فضلاً عن تثبيت خبراته ومعارفه التي احرزها عبر مسيرته الحضارية، فأفضت إلى تنمية الحس التاريخي لديه في كل زمان ومكان، فأصبحت الأفكار والخبرات تنتقل من جيل إلى آخر.ابتكر السومريون الكتابة في حدود 3500/ 3200 ق.م وقد مرت بمراحل من التطور حتى وصلت إلى المرحلة الصوتية المقطعية، واستمرت في الانتشار في مدن بلاد الرافدين وقراها وأريافها من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها، ولم يقتصر استخدم الكتابة المسمارية على السومريون والأكديون الذين استخدموا المسمارية لتدوين لغاتهم، إنما استخدمها غيرهم من شعوب الشرق الأدنى القديم بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد حتى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، إذ انتشر الخط المسماري إلى بلاد الشام وعيلام واستخدمه الأخمينيون والفرثيون والأغريقيون والحوريون والحثيون في آسيا الصغرى والأورارتيون والميتانيون، فضلاً عن استخدامها للدبلوماسية والتفاهم والمراسلة بين ملوك الشرق الأدنى القديم أبان العصر البابلي الوسيط (1595 – 1157 ق.م)، وقد استمرت المسمارية في الاستخدام حتى منتصف القرن الأول الميلادي، عندما عُثر على آخر نص مدون بالمسمارية في حدود (50م)، ومن هنا جاءت تسميتها بـ (لاتينية الشرق القديم).

الكلمات المفتاحية:(إستمرارية، تاريخية، كتابة، مسمارية، بلاد الرافدين)

The Historical Continuity of Cuneiform Writing

Mustafa Kadhim Sahal Farhan Al-Ghezi
Msc Ancient History
Wasit University
College of Engineering
Department of Architecture Engineering

Abstract:

Civilization is the spiritual and material product and the masses alike, civilization and civilization alike, and this is the reason why this image is

civilization on both levels of civilization, and from that ... material-civilizational foundations, and it was highlighted from the beginning as a separator between prehistoric times Ages or Stone Ages Stone ages (pre-writing ages, pre-writing ages), and a presentation called (historical ages) history, and the need for writing among adults in their awareness of its great status, is not in vain when they considered it a gift from the gods The civilization of Mesopotamia is considered one of the original civilizations (Civilization Original), but it is the civilization of human civilizations, so the cuneiform writing was innovative writing and was not quoted. It was invented by the Sumerians and added to it by the Akkadians, Babylonians, Assyrians, and Chaldeans in maturity and perfection. The invention of writing contributed to documenting man's thoughts and preserving them from loss, as well as consolidating his experiences and knowledge that he gained through his civilized path. It led to the development of his historical sense in every time and place, so ideas and experiences became transmitted from one generation to another. The Sumerians invented writing within the limits of 3500/3200 BC. It went through stages of development until it reached the syllabic stage, and it continued to spread in the cities, villages and countryside of Mesopotamia from its far south to its far north. The use of cuneiform was not limited to the Sumerians and Akkadians who used cuneiform. To write down their languages, it was used by other peoples of the ancient Near East, starting from the third millennium BC until the second half of the first millennium BC, The cuneiform line spread to the Levant and Elam, and was used by the Achaemenids, Parthians, Greeks, Hurrians, and Hittites in Asia Minor, the Urats, and the Mitannians, as well as its use for diplomacy, understanding, and correspondence between the kings of the ancient Near East during the Middle Babylonian era (1595-1157 BC). Cuneiform continued to be used until The middle of the first century AD, when the last text written in cuneiform was found within (50 AD), hence the name (Latin of the Ancient East).
Keywords: continuity, history, writing, cuneiform, Mesopotamia

المقدمة:

تميزت الحضارية الرافدينية بأصالتها وقوة عناصرها، مما جعلها تؤثر في الحضارات الأخرى أكثر مما تتأثر بهم، ومن أهم العناصر الحضارية الأصيلة التي إنبثقت من أرض الرافدين كانت الكتابة (سيدة المعارف). تُعد الكتابة المسمارية المحصلة الحضارية الأهم التي أحرزها سكان بلاد الرافدين عبر تاريخهم الطويل، ومن خلالها ثبتوا خبراتهم ومعارفهم وحافظوا عليها من النسيان والضياع، تاركين الاعتماد على الذاكرة الإنسانية القصيرة والتناقل الشفاهي، معتمدين على الكتابة في تثبيت منجزاتهم وعلومهم المختلفة، والتي انتقلت من مجتمع إلى آخر ومن جيل إلى آخر عبر الزمان والمكان. من أهم مميزات الكتابة المسمارية استمراريتها التاريخية، أي أنها استمرت في الاستخدام عبر تاريخ طويل منذ إبتكارها في عصور ما قبل التاريخ حتى منتصف القرن الأول للميلاد، فقد ابتكرها السومريون ونضجها وزاد عليها الأكديون والبابليون والآشوريون والكلديون، وقد مرت بمراحل رئيسية مختلفة منها الصورية والرمزية والمقطعية، ولم يقتصر إستخدام الكتابة المسمارية على حضارة بلاد الرافدين أو أرض الرافدين، بل انتشرت إلى مختلف الحضارات والبقاع، فاستخدمتها مختلف أقوام الشرق الأدنى القديم لتدوين شؤونهم الخاصة وللدبلوماسية في فترة ما، ومن هنا أَطْلَقَ عليها بعض المختصون تسمية (لاتينية

الشرق القديم) في إشارة إلى إنتشارها وتأثيرها في الشعوب والحضارات مثل اللاتينية التي فرضت سطوتها وتأثيرها على شعوب عديدة.

من هنا جاءت رغبتنا في تناول هذا الموضوع الموسوم بـ (الإستمرارية التاريخية للكتابة المسمارية) الذي يبحث في أهمية الكتابة المسمارية وعوامل استمراريتها وإنتشارها بين مختلف شعوب الشرق الأدنى القديم، وقد قُسم البحث إلى مقدمة ومحورين وإستنتاجات: المحور الأول ضَمَ ثلاثة فقرات هي: (ماهية الكتابة، مهنة الكتابة، التدوين التاريخي)، أما المحور الثاني فتناولنا فيه فقرتان هما: (الإستمرارية التاريخية للكتابة المسمارية وإستخدامها في تدوين لغات شعوب الشرق الأدنى القديم، أبرز العوامل المؤثرة في إستمرارية الكتابة المسمارية وإنتشارها في الشرق الأدنى القديم).

المحور الأول

أولاً/ ماهية الكتابة:

ظل الإنسان دهوراً طويلة ضالاً لا يعرف رسم الحرف رغم الحاجة إليه، وبعد ان بَلَغَ مستوى من الوعي ونتيجة تطور الحياة وتشعبها وتزايد حاجاته، ظهرت لديه حاجة ملحة لتدوين الأشياء وتثبيت الأفكار، فكان التوثيق برسم صور الأشياء. إذ أن الصورة تجعل العين تحس بفكرة الشيء، ولا سَّيما الصور المرسومة على الحجر أو الصلصال مثلاً[1].

قضى الإنسان فترات طويلة من مسيرته الحياتية يأكل ويشرب ويتكلم ويمارس نشاطاته المختلفة، ولكنه لا يكتب، إلا أن حاجته الماسة للكتابة اضطرته إليها[2]، فاللغة المكتوبة قد وُلدّت من اتفاق بين بضعة أفراد، ولكن ذلك الاتفاق قد أمتد حتى شمل المجتمع بأسره وفرض نفسه عليه بقوة صارمة[3].

وتُعرّف الكتابة على أنها مجموعة إشارات ناتجة عن تخطيط أو رسم أو نقش أو خدش أو ضغط بواسطة أداة على مادة كالطين أو الحجر أو البردي أو المعدن أو الورق[4]. أو الخشب أو العاج، وبذلك تُحفظ المعلومات والأفكار وتنتقل من جيل إلى أجيال أخرى بشكل تراكمي، وأول ما بدأ الإنسان بكتابة الأفكار قبل كتابة الكلمات[5].

أن الكلام هو جوهر اللغة، وأن اللغة المكتوبة ما هي إلا كائن طفيلي يعيش على الكلام[6]، إذ يمكن للإنسان أن يتحدث بدون كتابة، إلا أنه لا كتابة بدون لغة، فالكتابة بواقعها ظاهرة لغوية بينما اللغة ظاهرة صوتية، تعتمد على متحدث ومتلقٍ بينهما أداة نقل، أما الكتابة فتعبيرها جاء مؤخراً لهذا النظام الصوتي[7].

مما تقدم يتبين لنا ان الكتابة صورة اللغة والوعاء الحافظ للغات الإنسان ونشاطاته ومعارفه بل هي صورة الإنسان الفكرية. وقد أدت دوراً فاعلاً في تطور ونشر اللغة والثقافة والمعرفة الإنسانية بين أفراد المجتمع الواحد وباقي المجتمعات المختلفة[8]، فالكتابة ساعدت الإنسان على تجاوز حدود الزمان والمكان.

مكنت اللغة المجتمع الإنساني من تنسيق جهود أفراده وتوحيدها في مجرى مشترك، وجعلت تداول الخبرة ممكناً بين أبناء الجيل الواحد، إلا أن تداول الأفكار والخبرات بين الأجيال المتعاقبة من ذات المجتمع وبين سائر المجتمعات الأخرى كان مستحيلاً، فالتناقل الشفاهي يعتمد على ذاكرة الإنسان القصيرة، إلا أن ابتكار الكتابة كوسيلة للتدوين ساهم في حفظ اللغات الإنسانية نفسها، فضلاً عن الأفكار والخبرات عبر الأجيال والمجتمعات المختلفة، وقد أحدث حفظ الخبرات تبدلاً جذرياً ونوعياً في تكوين الخبرة الفردية وتراكمها لدى النوع الإنساني دون سواه.

إستخدم الإنسان لغات كثيرة، لكن لا نعرف عنها شيئاً قبل اختراع الكتابة كوسيلة لنقل الظاهرة (الصوتية – السمعية) إلى ظاهرة (كتابية – مرئية)، فاللغة تُسمع بالإذن، والكتابة تُرى بالعين، وقد جاءت الكتابة في محاولة لترجمة الظاهرة (الصوتية – السمعية) إلى ظاهرة (كتابية – مرئية)، وبصورة أخرى أن الكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني[9]. وهنالك علاقة وثيقة جداً بين اللغة والكتابة وتأثير أحدهما في الآخر قوي وعميق فمن الصعب أن نفهم الكتابة دون معرفة اللغة التي دونت بها ولكل لغة

كتابة معينة تُستخدم لتدوينها، لذا كان للسومرية كتابتها الخاصة وللمصرية والاغريقية والصينية كتاباتها الخاصة[10]

ثانياً/ مهنة الكتابة:

الكتابة مثل غيرها من المهن كانت بأيدي أفراد وأسر خاصين. إذ كانت العادة في مجتمع بلاد الرافدين أن يعمل الأولاد مع آبائهم منذ صغرهم في مهنهم أو حرفتهم[11]. وبذلك تبقى مهنة الكتابة وقتاً طويلاً في العائلة الواحدة، إذ يتوارثها الأبناء عن الآباء، ومما أسهم في ترسيخ ذلك الإتجاه طبيعة علامات الكتابة المسمارية المعقدة وكثرتها وتعدد قيمها الصوتية، فكانت من الصعوبات التي تحول دون تعلم معظم الناس فن الكتابة، مما أبقى الكَتَبَة وعوائلهم محتفظين بسر مهنتهم، وفي حال تعليمهم للآخرين كانت القوانين تشترط على الكَتَبَة أو المهنيين أن يتبنوا أولئك الأولاد[12]، ويتوارثون من بعدهم تلك المهنة[13].

ساهمت المعتقدات الدينية في تغذية مسألة توارث المهنة، إذا كان يعد من الأمور المقدرة للمرء من قبل الآلهة، إذ رسم الإله انليل ضرورة اتباع المرء لخطوات ونهج ومهنة والده في الحياة، وقد ورد أشار أحد النصوص السومرية إلى ذلك بالقول:

"من بين جميع مهن البشر... لاتوجد مهنة أصعب من الكتابة، فحسب القدر الذي يقرره انليل، ان الابن يتبع عمل أبيه"[14].

وقد أشارت الكثير من النصوص إلى توارث مهنة الكتابة من خلال أسماء الكَتَبَة التي وردت في النصوص والتي تُشير إلى انتمائهم إلى أسر معروفة، وذلك عبر مختلف العصور (السومرية، البابلية، الآشورية)[15].

ومن أشهر الكَتَبَة والنساخ في بلاد الرافدين على سبيل المثال لا الحصر نورد أسم الكاتب السومري دودو (Dudu) 2400 ق.م الذي يُعد أول كاتب في التاريخ يرد لنا أسمه. والكاتب سن – ليقي – أُنن (sin-leqe-uninni) الذي عاش في حدود 1300 ق.م ويرجح أنه أكمل الصيغة النهائية لملحمة كلكامش ودونها بنفسه[16]. كذلك الكاتب نابو – زوكوب – كينا (نابو – زكب – كين) nabu-zukup-kena أحد أشهر الكَتَبَة الملكيين في العصر الآشوري الحديث (911 – 612 ق.م)[17].

لم يقتصر الدور على الكَتَبَة من الرجال وإنما شّمل الكاتبات، فقد تفاخرن الأميرات والملكات السومريات في العصر السومري الحديث (2112 – 2004 ق.م) بمعرفتهن فنون الكتابة وقد اتخذن لقب (السيدة الكاتبة)[18]. فضلاً عن ذكر مجموعة من الناسخات ومعظمهن من طبقة الكاهنات من صنف الناديتو[19]. اللواتي ينتمين إلى الطبقات العليا والبارزة في المجتمع[20]. ومن أبرز الكاهنات انخدوانا الكاهنة العظمى وإبنة الملك سرجون الأكدي وصاحبة الأثر والمعرفة في المجالات الأدبية والثقافية[21]. وفي ذلك السياق يصف هاري ساكز حضارة بلاد الرافدين بقوله: "لقد كانت حضارة بلاد ما بين النهرين حضارة مثقفة قبل كل شيء"[22].

إذا أراد الشخص أن يتعلم الكتابة فن الكتابة وإتقانها عن طريق المدرسة فإن ذلك لم يكن بالأمر اليسير. إذ يتوجب على الكُتّاب أن يكرسوا وقتهم لإتقان مجموعة كبيرة من العلامات[23]. ويرد في أحد نصوص التأنيب المدرسية (تأنيب الطالب):

"...لو درست ليل نهار وعملت طوال الوقت بتواضعوبلا عنجهية واستمعت إلى نصائح زملائك ومدرسيك، فيمكن أن تصبح كاتباً ! وبعد ذلك تنضم إلى مهنة الكتابةالمربحة إلى صاحبها ويحرسك ملاك طيب، وتعمل ببراعة وهذا ما يحتاجه القصر"[24].

ثالثاً/ التدوين التاريخي:

مادة التاريخ بوجه عام مستمدة من كل ما خلفه الإنسان من آثار الماضي وبقاياه المتنوعة ليساعدنا على فهم الماضي لتوضيح الحاضر وفهمه، وقبل أن يهتدي الإنسان إلى ابتكار الكتابة اقتصرت مصادرنا على آثار الإنسان المادية التي خلفها في المواضع التي حلّ وسكن فيها كآلاته وأدواته المصنوعة من الحجارة والخشب، وبيوته وحلاه والنقوش والتصاوير التي نقشها في سقوف الكهوف التي استوطنها وعاش فيها في العصور الحجرية، وكذلك عظامه وعظام الحيوانات التي اصطادها، وبقايا النباتات والمعلومات الجيولوجية مما يتعلق بأحوال المُناخ والبيئة التي عاش فيها، وعندما اهتدى الإنسان إلى ابتكار الكتابة كوسيلة للتدوين أُضيف مصدر جديد إلى الآثار المادية ونعني بذلك الوثائق المدونة كسجلات الملوك والأمراء، وكذلك المعاملات وشؤون الحياة المختلفة التي دونها الناس على ألواح الطين بالدرجة الأساس[25].

ساهم اختراع الكتابة في تدوين أفكار ونشاطات ومنجزات الإنسان وأغلب تفاصيل حياته اليومية، مما ساعدنا في فهم ماضي حياته في مختلف العصور، سَّيما أن حضارة بلاد الرافدين امتازت بكونها حضارة عملية وحيوية اهتمت بمنجزات وخلود الإنسان أكثر من تركيزها على جانب الموت.

كان الاعتقاد السائد لوقت قريب أن بدايات التدوين التاريخي كانت من بلاد اليونان على يد المؤرخ هيرودوتس (أبو التاريخ) في القرن الرابع قبل الميلاد، غير إن الاكتشافات الحديثة في العراق وقراءة النصوص المسمارية أبانت بشكل واضح بأنه كان للعراقيين القدامى قصب السبق في مجال التدوين التاريخي كغيره من مجالات العلم والمعرفة، ومع أن المفاهيم والقواعد العلمية الحديثة كالنقد والتفسير والتحليل لم تكن معروفة آنذاك، إلا أنه برزت عندهم أهم الأهداف التي تميز التاريخ بوجه عام متمثلاً في (الحس التاريخي)[26].

من الممكن القول أن أسساً مهمة يقوم عليها التاريخ قد وضعت في حضارة بلاد الرافدين، وفي مقدمة تلك الأسس يأتي الحس بأهمية التاريخ الذي يظهر جليا في اهتمام حكام ومثقفي العراق القديم بأحداث الماضي وتدوينها، ويمكن اعتبار ذلك الحس التاريخي من بين أهم العناصر في حضارة بلاد الرافدين، لأن أهم ما يميز النوع الانساني توارث الأجيال المختلفة خبرات الماضي وتجاربه، وكان ذلك يتم بالرواية الشفهية قبل ظهور التدوين[27].

إذ نجد محاولات الكتّبة في تدوين الكتابات الملكية وإثباتات الملوك السومرية والبابلية والأشورية وثبت الملوك المتعاصرين، فضلاً عن الرسائل والمعاهدات والحوليات والسير الشخصية والأخبار ونصوص الفأل والتنبوء، وكذلك قوائم اللمّو الآشورية والتدوين بالحوادث المشهورة[28]. كما امتد التدوين التاريخي إلى التنظيمات الاجتماعية والعلوم المعارف والشرائع ومختلف مجالات الحياة، إذ وصلنا أول إصلاح اجتماعي، وأولى الشرائع والقوانين، فضلاً عن أول دستور أدوية (كتاب صيدلة) وأول تقويم زراعي[29].

إضافة لجهود الملوك في تعلم فن الكتابة والنسخ والترجمة وتأسيس المكتبات والتشريع فقد حفظ التاريخ محاولات وجهود العراقيون القدامى في التدوين، ومن أبرز المؤرخين الذين أسهموا في كتابة جزء من تاريخ بلاد الرافدين الملك انتمينا (Entmena) أحد ملوك سلالة لكش الأولى التي إزدهرت في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، والذي يُعد أقدم مؤرخ، إذ أنه دون تاريخ النزاع بين دويلتي لكش وأومّا بشكل مفصل والذي دام قرابة قرن من الزمن، فضلاً عن الكاهن البابلي برعوشا/ برحوشا والذي ورد أسمه بالمصادر الأغريقية بصيغة بروسس (Berossos) الذي دون تاريخ بلاد بابل بكتاب أسماه (بلاد بابل أو بلاد كلديا) يبدأ منذ الخليقة حتى حكم الاسكندر المقدوني (331 – 323 ق.م) وخلفاءه وذلك في عام 275 ق.م، كما برز المؤرخ والجغرافي أزادور الكرخي (Izaodor Dacharac) الذي عاش في القرن الأول للميلاد في دولة كراكاس أو كرخه ميسان الواقعة على فم الخليج العربي آنذاك، وقد دون كتاب باللغة اليونانية بعنوان (المنازل الفرثية)[30].

يمكن القول ان الكتابة استُعملت لتدوين تجارب الأجيال الماضية وتعظيم الآلهة والملوك وتخليد اهتماماتهم الثقافية والمعرفية وتدوين سنوات حكمهم وسلالاتهم، فضلاً عن تخليد منجزاتهم التشريعية والعمرانية والاقتصادية وإيصال أوامرهم إلى رعاياهم، وحفظ علاقاتهم مع الحكام والملوك المعاصرين لهم. فضلاً عن اهتمام الإنسان في تتبع أصول الأنظمة الاجتماعية وتطورها وتعليل احداث التاريخ وتفسيرها (مثيولوجياً) كما نلاحظ أن هناك عدة محاولات لدى الكتبة والأدباء لتعليل أصول الأشياء وأصل الإنسان لربط الماضي بالحاضر، وذلك ينضوي تحت ما يُعرف بالحس التاريخي الذي يُعد من أهم العناصر الحضارية لبلاد الرافدين[31].

المحور الثاني

أولاً/ الاستمرارية التاريخية للكتابة المسمارية واستخدامها في تدوين لغات شعوب الشرق الأدنى القديم:

ابتكر السومريون الكتابة في حدود 3500/ 3200 ق.م وقد مرت بمراحل من التطور حتى وصلت إلى المرحلة الصوتية المقطعية. واستمرت في الانتشار في مدن بلاد الرافدين وقراها وأريافها من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها، حيث انتشر النُسّاخ يكتبون الرسائل والعقود ومختلف الوثائق الأخرى، وقد لعبت المدارس دوراً بارزاً في عملية التعلم ونشر الثقافة والعلوم[32]. وبقي الخط المسماري متداولاً كوسيلة للتدوين في بلاد الرافدين محتفظاً بنمطه وأصالته عبر مختلف العصور والفترات التاريخية التي دخلت فيها الأقوام الأجنبية إلى بلاد الرافدين (عبر الهجرات والاحتلالات)، وظلت الكتابة المسمارية محتفظةً بأصالتها واستمراريتها التاريخية حتى بعد أن بدأ التأثير الأرامي يأخذ مداه في الألف الأول قبل الميلاد.

إن ظهور الآرامية وتأثيرها في الألف الأول قبل الميلاد، أدى إلى التقليل من قيمة الخط المسماري المقطعي[33]. ويمكن القول إنه بعد التأثيرات الآرامية الحضارية على الكتابة المسمارية واللغة الأكدية بلهجتيها الآشورية والبابلية ومن ثَمَ سقوط بابل عام 539 ق.م ونهاية الحكم المحلي (الوطني) على يد الاحتلال الاخميني واعتمادهم الآرامية في التدوين الرسمي كل تلك العوامل ساهمت في تضائل أهمية اللغة الأكدية والكتابة المسمارية واقتصر إستخدامها على المثقفين فقط عبر فترات الاحتلال الاجنبي المتأخرة التي مرت على بلاد الرافدين[34]، وعلى الرغم من ذلك عَثَرَ المختصون على نصوص فلكية مدونة بالمسمارية يعود تاريخها إلى سنوات (35، 10، 9، 6 ق.م)[35]. إلا أن نهاية المسمارية بحسب الأدلة المتوفرة كان في حدود عام (50م) عندما عُثر على آخر نص مدون بالمسمارية[36]. أي أنها استمرت في الاستعمال مسيرة تزيد على ثلاثة آلاف سنة، إذا ما اعتبرنا المرحلة الصورية أولى مراحل نشوء الكتابة، وإذا اعتبرنا الرموز الحسابية (التوكنز) أولى المحاولات لتدوين الحسابات فإن استعمال الكتابة الصورية سبقتها مرحلة تمهيدية تزيد مدتها عن ضعف مدة ظهور الكتابة الصورية حتى إنتهاء إستعمال الكتابة المسمارية عام (50م).

إن اصالة حضارة بلاد الرافدين، وقوة الكيانات الحاكمة وسعيها الدؤوب في توسيع رقعة سيطرتها جعل من بلاد الرافدين مركز اشعاع حضاري صَدَرَ التأثيرات الحضارية الى مختلف بقاع العالم القديم ومنها الكتابة التي عُدّت أعظم إنجاز حضاري أحرزه الإنسان، كما اسهم موقع بلاد الرافدين وخيراته من وفرة مياه واراض خصبة في جذب مختلف الاقوام وبالتالي تأثرها بمختلف مفردات الحضارة الرافدينية.

لم يقتصر استخدم الكتابة المسمارية على السومريون والأكديون الذين استخدموا المسمارية لتدوين لغاتهم، إنما استخدمها غيرهم من شعوب الشرق الأدنى القديم بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد حتى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، فضلاً عن استخدامها للدبلوماسية والتفاهم والمراسلة بين ملوك الشرق الأدنى القديم أبان العصر البابلي الوسيط (1595 – 1157 ق.م)، وذلك بدليل العثور على أرشيف رسائل تل العمارنة[37]، التي يُمثل الرسائل المتبادلة بين ملوك مصر امينحوتب الثالث وامينحوتب الرابع (اخناتون) وبين ملوك الكاشيين والحثيين والميتانيين وحكام سوريا وفلسطين وجميع تلك الرسائل باللغة

الأكدية ومكتوبة بالخط المسماري، إذ دونوا شعوب الشرق الأدنى القديم لغاتهم بالكتابة المسمارية وفق طريقة تناسب قواعدها اللغوية. تماماً كما هو الحال في استخدام الحرف اللاتيني لتدوين الكثير من اللغات الأوروبية الحديثة "كالإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها"، واستخدام الخط العربي لتدوين اللغة الفارسية ولغة الأوردو، وسابقاً اللغة العثمانية[38].

إنتشر الخط المسماري إلى بلاد الشام وعيلام واستخدمه الأخمينيون والفرثيون والأغريقيون والحوريون والحثيون في آسيا الصغرى والأورارتيون والميتانيون. ولهذا السبب تُسمى الكتابة المسمارية بـ (لاتينية الشرق القديم)[39]. فمثلاً بعد مرور قرنين تقريباً من ابتكار الكتابة الصورية انتقلت إلى مدينة سوسة (عاصمة عيلام)، وظل ذلك الخط مستخدماً فيها وكان يُعرف ببين المختصين بـ (الخط العيلامي القديم- وهو مشابه للخط في بلاد الرافدين مع بعض الاختلافات البسيطة)، الذي يعاصر في تاريخه دور جمدة نصر (2800 ق.م) في بلاد الرافدين، حتى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد (العصر الأكدي)، حيث استُبدل بالخط المسماري الرافديني وهَجَرَ العيلاميون خطهم الأول[40].

في مدينة أبلا (تل ماريديخ حالياً) 55 كم جنوب غرب حلب كشفت التنقيبات الأثرية على آلاف الرقم الطينية ذات المضامين المختلفة، والمدونة بالخط المسماري يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات الثالث (2450 – 2400 ق.م) والعصر الأكدي (2371 – 2230 ق.م) في بلاد الرافدين، وفي أعالى الخابور عثرت البعثة الألمانية بالقرب من شيخ حماد على مجموعة من الرقم الطينية المدونة بالخط المسماري وباللغة الأكدية (بلهجتها الآشورية) تعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، كما استُخدم الخط المسماري كوسيلة للتدوين في مدينة ماري في سوريا (تل الحريري) قرب البوكمال التي اكتُشف فيها أكثر من (20 ألف) رقيم مدون بالمسمارية تُمثل سجلات القصر الملكي. فضلاً عن العثور على ألواح طينية مدونة بالمسمارية وباللغتين الأكدية والكنعانية (بلهجتها الأوغاريتية) في أوغاريت (رأس شمرة) الواقعة على الساحل في شمالي سوريا[41].

انتشر الخط المسماري إلى آسيا الصغرى في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، فقد عُثر على الآلاف من الرقم الطينية المدونة بالخط المسماري وباللغة الأكدية (بلهجتها الآشورية) في عدد من المراكز التجارية التي أقامها التجار والمستوطنون الآشوريون في كول تبه (كانش) وبوغازكوي (خاتوشا) وغيرها من المدن الواقعة اليوم في الأراضي التركية، كما انتشر الخط المسماري بين الخوريين والميتانيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، حيث تم العثور على (4000) رقيم طيني دونت بالمسمارية في موقعي نوزي (يورغان تبه) وتل الفخار (كورو – خاني) قرب كركوك[42].

كما دوّن الأورارتو في أرمينيا والأخمنيين والأغريق والفرثيين (الأرشاقيين) لغاتهم بالخط المسماري في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد[43].

الكتابة أهم المظاهر الحضارية وأبرز المبتكرات التي أحرزها العراقيون القدامى، وأهم الاسهامات التي قدموها إلى بلدان العالم القديم، وأن البحث في إنتقال التأثيرات الحضارية من بلاد الرافدين إلى البلدان الأخرى سنجد أن غالبية التأثيرات انتقلت بواسطة الكتابة.

ثانياً/ أبرز العوامل المؤثرة في استمرارية الكتابة المسمارية وإنتشارها في الشرق الأدنى القديم:

1- الإعتقاد بالأصل الإلهي للكتابة:

تعددت الآلهة في بلاد الرافدين بتعدد وظائفها[44]، إذ أنها تمثل تجسيداً لقوى الطبيعة بكل أجزائها، "فيُعتقد أن السومريين امتلكوا في منتصف الألف الثالث ق.م، إذا لم يكن قبل ذلك، مئات من الآلهة بالاسم على الأقل"[45]. وقد ذهب العراقيون القدامى أبعد من ذلك في اعتقادهم أن النمو والازدهار الحضاري الذي بلغوه يتجسد في مجوعة وظائف ومعارف إلهية تصل إلى (110) وظيفة أسموها القوى الإلهية (ME)[46]. كان لكل إله وظيفة يمتلكها ويمنح معارفها للبشر، لذلك اكتسبت الكتابة قدسية كبيرة لدى سكان

بلاد الرافدين على إختلافهم، وتلك القدسية منحتها ديمومة وإستمرارية طويلة عبر مختلف العصور التاريخية للحضارات العراقية القديمة.

إرتبطت الإلهة نيسابا (Nisaba) إبنة الإله انليل (Enlil) بالحبوب والحشائش والقصب الذي يُعد أحد رموزها وأهم أدوات الكتابة في بلاد الرافدين[47]. وسُميت بـ (كاتبة الجميع)، ووصف زوجها الأول الإله خايا (Haya) بـ (سيد الرقيم المختوم) أو (إله الكتبة)[48]. ونقرأ في أحد التراتيل المؤلفة على شرفها: "يا ايتها السيدة الملونة كنجوم السماء التي تمسك لوح حجر اللازورد ، المولودة في زريبة الاغنام ، المولودة بالحكمة من قبل الرجل العظيم المراة الشريفة الخطاطة الرئيسية للسماء ، حافظة سجل انليل وحكيمة الالهة التي تجعل النبات ، تقيم الشعائر وتعين الكاهن الكبير"[49]. وقيل في تمجيدها أيضاً: "لقد أصبحت أهلاً للقب (الكاتب)، لقد أعليت قدر (نيسابا) ملكة المعارف، فالحمد لكِ، يا نيسابا"[50]. وفي العصور التالية إقترن بالإلهة نيسابا الإله نابو كزوجاً لها[51].

وعُرف الإله نابو (Nabu) أحد أبناء الإله مردوخ وإله مدينة بورسبا كإله للكتابة والمعرفة في بلاد الرافدين[52]. ووصف بأنه: (إله الكتابة، حامي الكتبة والمدرسة، مبتدع كتابة الكتبة، الكاتب الذي لا مثيل له، كاتب الآلهة الحاذق بقصب – بقلم الرقيم)[53]. وقيل عنه: "نابو كاتب الأيساكيلا[54]..."[55]. وهكذا فقد عد العراقيون القدامى هذه الإله إلهاً للخط والكتابة فمن البديهي ان يقترن إسمه بالحكمة والمعرفة، لذا رُمزه له في المشاهد الفنية (الأختام والمسلات وأحجار الحدود) بالرقيم أو بالإسفين والقلم المنفرد أو المزدوج[56].

ومن آلهة الكتابة الأخرى، الإلهة (كتشن انا) أخت الإله (تموز)، إذ تولت مهمة الكتابة في العالم الأسفل، ومعها زوجها (ننكشزيدا)، وقد جاء ذكرها في ملحمة كلكامش على لسان أنكيدو عند وصفه ما شاهده في العالم الأسفل، إذ ذكر لصديقه كلكامش أنه شاهد الإلهة الكاتبة (كتشن انا) تجلس في وضعية القرفصاء وتمسك بيدها لوح وتقرأ منه لآلهة العالم الأسفل، وربما كانت وضيفتها تسجيل أسماء كافة الموتى وتحتفظ بقوائم كاملة عنهم وتُعلِم بهم آلهة العالم الأسفل[57].

2- الموقع الجغرافي وحافز الحرمان:

إن موقع بلاد الرافدين الاستراتيجي منح سكانها إختلاطاً دائماً مع الأقوام المجاورة في مختلف شؤون الحياة، أما طرق الاتصال الحضاري المباشر فكان أبرزها الحروب والدبلوماسية السياسية والتجارة وهجرات الأقوام والمجموعات السكانية، سيَّما أن بلاد الرافدين المتمركز في قلب العالم القديم (آسيا وأوربا وأفريقيا)، وتوفر طرق ووسائل النقل البرية والنهرية أسهم في تسهيل حركة النقل والعبور سواء في إدامة الزخم العسكري وتوسيع النفوذ عبر العصور المختلفة لبلاد الرافدين والذي أنتج اختلاط وتمازج بين مختلف المجتمعات التي شملتها الحملات العسكرية السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والكلدية، كذلك الهجرات السكانية والنشاط التجاري الذي أفرزه "حافز الحرمان" الذي نشأ جراء نقص المواد الأولية (الأحجار والأخشاب والمعادن) اللازمة لقيام الصناعات وتشييد المرافق التي تُمثل الجانب المادي للحضارة، لذا نجد أن العراقيين القدامى اندفعوا تجارياً بشكل ملحوظ لتوفير المواد الأولية وسد النقص الحاصل، حتى عُرف عن حضارة بلاد الرافدين أنها ذات "طابع تجاري"، فضلاً عن كونها "حضارة زراعة وري"[58].

ومن الجدير ذكره أن بنية الكتابة المسمارية ساهمت بشكل كبير في تدوين لغات الكثير من أقوام الشرق الأدنى القديم وفق طريقة تناسب القواعد اللغوية للغاتهم المختلفة. كما هو الحال مع الحرف اللاتيني الذي استخدم لتدوين الكثير من اللغات والخط العربي الذي دونت به اللغة الفارسية ولغة الأوردو وسابقاً اللغة العثمانية[59].

3- المدارس ودورها في تعليم الكتابة وشيوعها بين طبقات المجتمع:

إن الاختراعات والاكتشافات الإنسانية تبدأ بسيطة وساذجة بين أفراد معدودون من المجتمع أول أمرها، ومن بعدها تُنضَّج وتتسع دائرتها بين أفراد المجتمع، والكتابة كمثل باقي الاختراعات ظهرت لحاجة ماسة

وغاية هامة إقتصرت أول أمرها على الرجال الأذكياء وفي مقدمتهم رجال الدين فغدت الكتابة سراً من أسرار الكهنة ومن ثَمَ أصبح تعليمها حكراً على أبناء الطبقة الحاكمة والطبقات العليا في المجتمع، وحتى يحافظ الإنسان على ديمومة فكرة إختراع الكتابة ويضمن استمراريتها إلى الأجيال الأخرى كان لزاماً عليه أن يعلمها لغيره، فظهرت المدارس التي اقتصرت وظيفتها على تعليم وتربية وتدريب الطلبة بكافة فئاتهم العمرية.

في أرض الرافدين وجدت أولى المدارس في العالم القديم، إذ تُشير الألواح الأولى المكتشفة في مدينة الوركاء إنها دونت لغرض الدرس والتمرين، ومن الجدير بالذكر أن الكتابة في مراحلها الأولى كانت تحتم على الشخص الذي يسعى لتعلمها أن يحفظ أكثر من (2000) علامة صورية، لذا كان الأمر ليس باليسير حتى اختزلت العلامات فأصبح لا يجاوز (500 – 600) علامة في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، و (300) علامة في العصر البابلي الحديث (626 – 539 ق.م).

بعد تطور الحياة وتسارع النمو الحضاري ازدهرت المدارس في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد فلم يعد الهدف الرئيسي للمدارس تعلم الكتابة وتخريج كتبة للدولة والمعابد فحسب، وإنما أصبحت مركزاً للعلم، وفيها تعليم اللاهوت علوم الحيوان والنبات والحساب والجغرافيا والنحو والأدب[60]. فضلاً عن علوم الطب والكيمياء والفلك...إلخ.

وصلتنا عشرات الألوف من الرقم الطينية المدرسية من مدن الوركاء وأور ونُفَّر وشروباك وسبار وغيرها من المدن القديمة، وتلك الوثائق مكنتنا من معرفة المدرسة وهيئتها التدريسية والمناهج وأساليب الدراسة ومراحلها. إذ أطلقوا على المدرسة تسمية (بيت الألواح) وبالمصطلح السومري (اي – دبا / Edubba)، وظهرت عندهم معاهد للدراسات العليا اطلقوا عليها أسم (بيت – مومي)، أما مدير المدرسة أو الناظر أطلقوا عليه أسم (اوميّا – Ummia) أما الطالب فقد عُرف باسم (ابن بيت الألواح – Dumu Edubba)، وكانت المدارس على مستويات والدراسة فيها وفق مراحل مختلفة[61]. كما أن الهيئة التدريسية تتألف من مجموعة معلمين منهم الأستاذ المساعد (الأخ الكبير)، و (المشرف على الرسم) و (المشرف على اللغة السومرية)، و (العرفاء) أو المرشدون المنوط بهم أمر المواظبة على الحضور، و (الرجل الموكل بالسوط) الذي كان مسؤولاً عن حفظ النظام[62]. فضلاً عن أساتذة الهندسة والحساب والرياضيات والطب والفلك والشعراء والأدباء[63].

اقتصر التعليم في المدارس على البنين دون البنات، بسبب حاجة الطالب لسنين طويلة حتى يتقن الكتابة المسمارية، ذلك ربما منع المرأة من مشاركة الرجل في هذا المضمار، فضلاً عن واجبات المرأة الأساسية كالإنجاب وتربية الأطفال، ولكن مع هذا لدينا بعض الأمثلة عن نساء إشتغلن كناسخات إلا أن معظمهن كانن كاهنات من صنف الناديتو[64]. فضلاً عن بعض الملكات والأميرات اللواتي تفاخرن بإتقان فن الكتابة[65].

كشفت التنقيبات الأثرية في بعض المدن القديمة (نُفَّر، سبار، أور، خرسباد، ماري) عن أماكن تُشير إلى أنها أبنية مدرسية تحتوي على مصاطب لجلوس التلاميذ آنذاك، أما المناهج والدروس التي يتلقاها الطالب فقد اختلفت باختلاف المراحل والمستويات التعليمية، فكانت تعطى دروس وتمارين مطولة تحتم على الطالب التحضير والمواظبة والحضور إلى المدرسة في وقت مبكر ومغادرة المدرسة بوقت متأخر خوفاً من أعضاء هيئة التدريس حتى لا يتعرض إلى عقوبة تصل إلى حد التوبيخ والضرب، وفضلاً عن دور الهيئة التدريسية في التربية والتعليم، فإن دور الأهل كان واضحاً في حث أبنائهم على الذهاب إلى المدرسة والتعلم ومتابعة مستوياتهم في الدراسة[66].

لقد تركت لنا طريقة التدريب المدرسية عدداً لا يحصى من الألواح المدرسية، التي ظهرت عليها علامة أو كلمة أو جملة كُتبت من قبل المعلم على جانب واحد أو على سطر من اللوح، بينما ظهرت على القفا أو على السطر الأسفل جهود التلميذ في استنساخ الأمثلة[67]. وقد دلّ على ذلك ضعف كتابات التلاميذ الغير متقنة مقارنةً بكتابات المعلمين أو الكتبة الماهرين.

وقد حظيت المدرسة باهتمام المجتمع لما تملكه من قيمة ودور كبير في التربية والتعليم والتوعية ونشر الثقافة، ويتضح ذلك الاهتمام في إحدى الحزورات السومرية التي تقول:

"بيت أساسه مثل السماء

بيت كأنه...مغطى بالكتان

بيت مثل الأوزة يقوم على أساس متين

من يدخله بلا عينين مفتوحتين

يخرج منه بعينين مفتوحتين

الحل: (المدرسة)"[68].

النص فيه إشارة إلى أهمية دور المدرسة في تعليم أفراد المجتمع وتنويرهم، فضلاً عن بيان ما للمتعلم من سمو ورفعة، فالعينين المفتوحتين كناية عن المعرفة والدراية، وهي على خلاف الجهل، وأيضاً يحمل دلالة أخرى عن هيئة بناية المدرسة.

يمكن القول من وجهة نظر تاريخ المدينة ان أبرز إنجازات بلاد سومر تمثلت في تطوير نظام الكتابة المسمارية ونظام التعليم المنتظم الذي كان نتيجة مباشرة لتطوير الكتابة[69].

4-المكتبات ودورها في حفظ الكتابات المسمارية:

إن كثرة الوثائق والتعاملات الشخصية والرسمية اليومية انتجت كم هائل من الرقم الطينية والتي وجب على أصحابها الحفاظ عليها وتنظيمها بطريقة يسهل الرجوع لها عند الحاجة، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى المكتبات. ومن الجدير بالذكر أن مفردة المكتبة وردت في السومرية بصيغة إم – كو - لا(IM.GU.LA) وبالأكدية كركناكوّ (girginakku)[70].

كشفت نتائج التنقيبات في العواصم والمدن القديمة عن مجاميع كثيرة من الوثائق المكتوبة بالخط المسماري واللغة السومرية أو الأكدية (بلهجتيها البابلية والآشورية)، أو بكلا اللغتين أحياناً، وهي وثائق أو نصوص ثنائية اللغة (Bilingual Texts)، ويمكن تصنيف تلك الوثائق إلى:

1- وثائق تعاملات شخصية.
2- وثائق رسمية (أرشيف الدولة).
3- وثائق أدبية ودينية وعلمية.

من الجدير بالذكر انه لم تكن القصور وحدها من تمتلك المكتبات التي تحفظ فيها الوثائق المهمة، بل أن معظم العواصم والمدن الرئيسية تمتلك مكتبات معبدية وحتى مكتبات خاصة، وقد كشفت التنقيبات على مثل تلك المكتبات في آشور ونمرود ونفر، وقد عَثَرت بعثة التنقيب لجامعة بغداد في الطبقات العليا من منطقة معبد الإله شمش في مدينة سبار (اليوسفية)[71]، على مكتبة تضم أكثر من خمسمائة لوح في مختلف المجالات المعرفية (اللغوية والأدبية والدينية والعلمية)، ومن المهم في الأمر أنها عُثر عليها سليمة تماماً، كما رتبها صاحبها البابلي محفوظة في رفوف الواحد منها فوق الآخر، وحرصاً منه على بقائها بعيدة عن العبث وتأثيرات الطبيعة فأنه غطى تلك الرفوف بطبقة رقيقة من الطين[72].

تُعد مكتبة آشور بانيبال (668 – 626 ق.م)[73] من أغنى المكتبات وأكبر الإرشيفات المكتشفة في بلاد الرافدين، فقد كشفت التنقيبات التي قادها هنري لايرد (H. Layard) عام 1849م في قوينجق (نينوى) ومن بعده بثلاثة سنوات مساعده هرمز رسام (H. Rassam) عن أكثر من (28) ألف رقيم نُقلت إلى المتحف البريطاني ومتحف اللوفر[74]. ومن الجدير بالذكر أن تلك المكتبة أُنشأت في القرن السابع قبل الميلاد وهي تُمثل أول مكتبة منظمة في الشرق الأوسط القديم، وأصبحت أثمن مصدر تاريخي حول بلاد

الرافدين. ويقول عنها جورج كونتينو: "تؤلف المكتبة، بعد أن نقلت إلى لندن أحد الكنوز الرئيسة في المتحف البريطاني"[75]. ويمكن القول أنها تُمثل دائرة معارف كبرى متنوعة التخصصات.

إن حفظ وتنظيم الوثائق في المكتبات شَكَلَ عاملاً مهماً في حفظ تاريخ بلاد الرافدين، وأدى إلى تثقيف المجتمع وتحفيز الملوك على رعاية الكتابة المسمارية وديمومتها عبر مختلف العصور التاريخية لبلاد الرافدين.

الاستنتاجات

- تُعد الكتابة واختراعها من أهم المنجزات الإنسانية عبر المسيرة الحضارية، فمن دونها لا يُمكن دراسة أي مجتمع والبحث في تطوره بشكل دقيق.
- أن ظهور الكتابة في حضارة بلاد الرافدين يُعد حدثاً مهماً في مسيرة الانسانية حتى عدهُ بعض الباحثين الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، لأنها كانت الوسيلة التي دوّن بها التاريخ، لذلك قُسمت العصور إلى عصور ما قبل الكتابة وعصور ما بعد الكتابة.
- تنضوي الكتابة تحت لواء المعرفة التي تُشكل إحدى أهم أركان وأولويات حضارة بلاد الرافدين، فهي سيدة المعارف وأعظم ابتكار غير مسار تاريخ البشرية ونَقَلَ الحضارة الإنسانية إلى آفاق جديدة حين صارت التجارب والخبرات تحفظ وتبقى حتى بعد غياب أصحابها لتنتقل إلى جيل جديد يضيف إليها ويطورها بحسب إيجابيته وإستعداداته.
- ساهمت عوامل عديدة في إنتشار الخط المسماري في الشرق الأدنى القديم، ومن أبرز تلك العوامل البنية الهيكلية للكتابة ومناسبتها لأغلب اللغات القديمة، كذلك الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين وحافز الحرمان الطبيعي اللذين ساهما في إنفتاح بلاد الرافدين على البلدان والحضارات المجاورة.
- إن قدسية الكتابة ونظام التعليم والمدارس وأساليب الحفظ والمكتبات أدت دوراً مهماً في حفظ الوثائق والمساهمة في نشر الوعي التعليمي والثقافي في مجتمعات بلاد الرافدين المختلفة، وبالتالي ديمومة المسمارية ومواصلة إستخدامها.
- ان إستمرارية وتواصل الكتابة المسمارية إحدى ابرز السمات الحضارية لبلاد الرافدين.

الهوامش

(1) جوزيف ڤندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة – د.ت)، ص390.

(2) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ط1، دار الجيل، (بيروت – 1987م)، ص131.

(3) جوزيف ڤندريس، اللغة، ص416.)

(4) عيد مرعي، اريخ لغات المشرق العربي القديم (اللغات السامية)، الهيئة العامة السورية للكتاب، (دمشق – 2019م، ص9.

(5) جوزيف ڤندريس، اللغة، ص385.)

(6) مايكل كوربااليس، في نشأة اللغة (من إشارة اليد إلى نطق الفم)، ترجمة محمود ماجد عمر، عالم المعرفة، (الكويت – 2006م)، ص48.

(7) تركي عطية الجبوري، الكتابات والخطوط القديمة، مطبعة بغداد، (بغداد – 1984)، ص45.)

(8) نوري جعفر، اللغة والفكر (دراسة تاريخية تطورية لنشوء اللغة والفكر مع بيان العلاقة بينهما في ضوء فسلجة المخ والدراسات السيكولوجية الحديثة)، مكتبة التومي، (الرباط – 1971م)، ص152.

(9) عيد مرعي، تاريخ لغات المشرق...، ص9.

(10) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل – 2000)، ص15-16.

(11) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد – 1980م)، ج2، ص81.)

(12) للمزيد حول نظام التبني أنظر: حسين ظاهر حمود، مكانة الأولاد في المجتمع العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1991م، ص77-85.

(13) عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001م، ص112-113.

المصدر نفسه، ص112.[14])
للمزيد أنظر: المصدر نفسه، ص113-116.[15])
المصدر نفسه، ص114.[16])
Farham. Eckart, ((Royal hermeneutics: observations on the commentaries from Ashur -)[17]
banipal's libraries at Nineveh)), Iraq, vol. 66, 2004, p.47.
عامر الجميلي، الكاتب...، ص105.[18])
([19]) للمزيد حول أبرز الكاهنات الناسخات أنظر: ثلما ستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، (بغداد – 1978م) ص200-202.
([20]) أميرة عيدان الذهب، الكاهنات في العصر البابلي القديم (دراسة في ضوء النصوص المسمارية المنشورة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1999م، ص69.
ثلما ستيان عقراوي، المرأة...، ص228-229.[21])
([22]) الحياة اليومية في العراق القديم بلاد بابل وآشور، ترجمة كاظم سعد الدين، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد – 2017م)، ص100.
([23]) جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، منشورات الجمل، (بيروت – 2015م)،ص349.
إن عدد العلامات المسمارية التي يتوجب على الكتّاب تعلمها وإتقان فن الكتابة، تشابه عدد العلامات التي يتوجب على المتدربين الصينيين اتقانها، إذ يستعمل الصينيون (3000 – 5000 رمز) والعراقيون القدامى استعملوا (2000 رمز)، ومن ثَّم تقلص العدد إلى أقل من ذلك بكثير، وهو على العكس تماماً من الحروف الهجائية التي لا تزيد عن (22-26 رمز منفصل). صلاح رشيد الصالحي، من الصورة إلى الرمز في الكتابة المسمارية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2019م، ج3، ص60.
([24]) جون أوتس، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دائرة الآثار والتراث، (بغداد – 1990م)، ص249 – 250.
([25]) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، دار الوراق، (بيروت – 2012م)، ج1، ص122-123.
([26]) عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ، دار الحرية، (بغداد – 1983م)، ص225.
([27]) حسين أحمد سلمان، كتابة التاريخ في وادي الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، ط1، دار الكتاب للطباعة والنشر، (بغداد – 2008م)، ص334.
للمزيد حول تدوين التاريخ في بلاد الرافدين أنظر: المصدر نفسه، ص147-402.[28])
([29]) للمزيد حول تدوين بدايات الأشياء على مختلف أصعدة الحياة في بلاد الرافدين أنظر: صموئيل نوح كريمر، هنا بدأ التاريخ (حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين)، ترجمة ناجية المراني، دار الجاحظ للنشر، (بغداد – 1980م).
للمزيد أنظر: حسين أحمد، كتابة التاريخ...، ص334 – 359.[30])
([31]) طه باقر، عبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط1، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد – 1980)، ص18-19.
([32]) فاضل عبد الواحد، حضارة بلاد الرافدين أصالتها وتأثيرها في بلدان الشرق الأدنى القديم (العراق في التاريخ)، دار الحرية للطباعة، (بغداد – 1983م)، ص274.
([33]) فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، (دمشق – 2009م)، ص14-15.
([34]) فترات الإحتلال الأجنبي المتأخرة: بعد سقوط بابل عام 539 ق.م على يد كورش الأخميني ونهاية حكم الدولة الكلدية دخلت بلاد الرافدين في فترات إحتلال الأقوام الأجنبية بدءاً بالحكم الأخميني 539 – 331 ق.م، ومن ثَّمَ الإسكندر والعصر السلوقي 331 – 138/ 126 ق.م، ومن بعده العصر الفرثي 138/ 126 ق.م – 227م، وتلاه العصر الساساني 226/ 227 – 637م الذي إنتهى بعد الفتح الإسلامي للعراق.
فاضل عبد الواحد، حضارة بلاد الرافدين...، ص274.[35]) (
(36) D.J.Wiseman, Assyrian Writing-Boards, IRAQ, Vol.17,No.1, 1955, P13.
([37]) للمزيد حول رسائل تل العمارنة أنظر:
Jana Mynarova, Language of Amarna Language of Diplomacy (Perspectives on the Amarna Letters), (Prague – 2007), P 11 ff.

(38) عيد مرعي، تاريخ لغات المشرق...، ص106.
([39]) يوهانس فريدريش، تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد مظهر، ط1، وزارة الثقافة، (دمشق – 2004م)، ص84.
([40]) فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد – 1989)، ص176.

([41]) عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ط2، دار ومكتبة عدنان، (بغداد – 2014م)، ص277 – 278.
([42]) المصدر نفسه، ص278.
([43]) المصدر نفسه، ص278.
([44]) للمزيد حول المعتقدات الدينية والآلهة في بلاد الرافدين أنظر: سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، (بيروت – 2013م)؛ مهند عاشور شناوة القطبي، مجمع الآلهة في حضارة وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000م.
([45]) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، (بغداد – 1981م)، ق2، ص375.
([46]) Manfred Hutter, Religionen in der Umwelt des Alten Testaments I Babylonier, Syrer, Perser, (Berlin - 1996), PP35-37.

([47]) فاتن موفق فاضل، رموز أهم الآلهة في العراق القديم (دراسة تاريخية دلالية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2002م، ص165.
([48]) عامر الجميلي، الكاتب...، ص108.
([49]) فاتن موفق، رموز أهم الآلهة...، ص165-166.
([50]) عامر الجميلي، الكاتب...، ص108.
([51]) Jeremy Black and Anthony Green, Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary, (London - 2004), P. 143.
([52]) Gwendolyn Leick, A Dictionary of Ancient Near East Mythology, (London and New York – 1991), p123.

([53]) عامر الجميلي، الكاتب...، ص108-109.
([54]) الأيساكيلا (Esagilla): معبد الإله مردوخ في مدينة بابل، ويعد من المعابد الرئيسية في بلاد الرافدين، وأسمه يعني في السومرية (البيت الشامخ أو البيت الرفيع أو البيت المرفوع الرأس). للمزيد أنظر: خالد ناجي الكريماوي، الإله مردوخ كبير الآلهة البابلية (دراسة في المعتقدات الدينية)، ط1، دار تموز، (دمشق – 2016م)، ص115 – 122.
(55) سهيل قاشا، الحكمة في وادي الرافدين، ط1، دار الرافدين، (بيروت – 2006م)، ص205.
([56]) فاتن موفق، رموز أهم الآلهة...، ص156-159.
([57]) عامر الجميلي، الكاتب...، ص109 – 110.
([58]) مصطفى كاظم سهل الغزي، تاريخ العراق القديم في ضوء نظرية التحدي والاستجابة (تفسير حضاري شامل)، ط1، دار آرام، (دمشق – 2019م)، ص76-79.
(59) عيد مرعي، تاريخ لغات المشرق...، ص106.
([60]) سهيل قاشا، عراق الأوائل حضارة وادي الرافدين، ط1، العارف للمطبوعات، (بيروت – 2010م)، ص311.
([61]) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج2، ص163-164.
([62]) صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ط1، بيت الوراق، (بيروت – 2010م)، ص49.
([63]) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج2، ص164.
([64]) ثلما ستيان عقراوي، المرأة...، ص200-201.
([65]) عامر الجميلي، الكاتب...، ص105.
([66]) للمزيد حول المدارس والتعليم في بلاد الرافدين أنظر: كرستوفر لوكاس، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح، منشورات دار الجاحظ، (بغداد – 1980م).
([67]) ليو اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، ط2، وزارة الثقافة، (بغداد – 2013م)، ص300.
([68]) A. Sjoberg, The Old Babylonian Eduba, Assynological Studies, Vol. 20, P. 159.
([69]) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي، ط1، دار ومكتبة البصائر، (بيروت – 2012م)، ص325.
([70]) Oppenheim and Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, CAD, (Chicago -2005), Vol. 5, P. 86.

([71]) للمزيد حول مكتبة سبار التي اكتشفتها البعثة التنقيبية لجامعة بغداد (1985 – 1986م) برئاسة الدكتور وليد الجادر، أنظر: علي طالب منعم الشمري، المكانة الدينية والحضارية لمدينة سبار في العصر البابلي القديم (2004 – 1595 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2014م، ص154 وما بعدها.

([72]) فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة وملحمة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد – 2000م)، ص30-31.

([73]) للمزيد حول جهود الملك آشور بانيبال والكَتَبَة والنساخ في الجمع والنسخ والترجمة أنظر: عيد مرعي، وليد خالد الهلال، مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال (668 – 627 ق.م) في نينوى "نظام الحفظ والفرسة، والنسخ"، مجلة الدراسات التاريخية مج38، عدد (145)، 2022م، ص148 وما بعدها.

للمزيد أنظر: رياض عبد الرحمن الدوري، آشور بانيبال مكتبته وثقافته، ص237 – 243. ([74])

([75]) الحياة اليومية...، ص350.